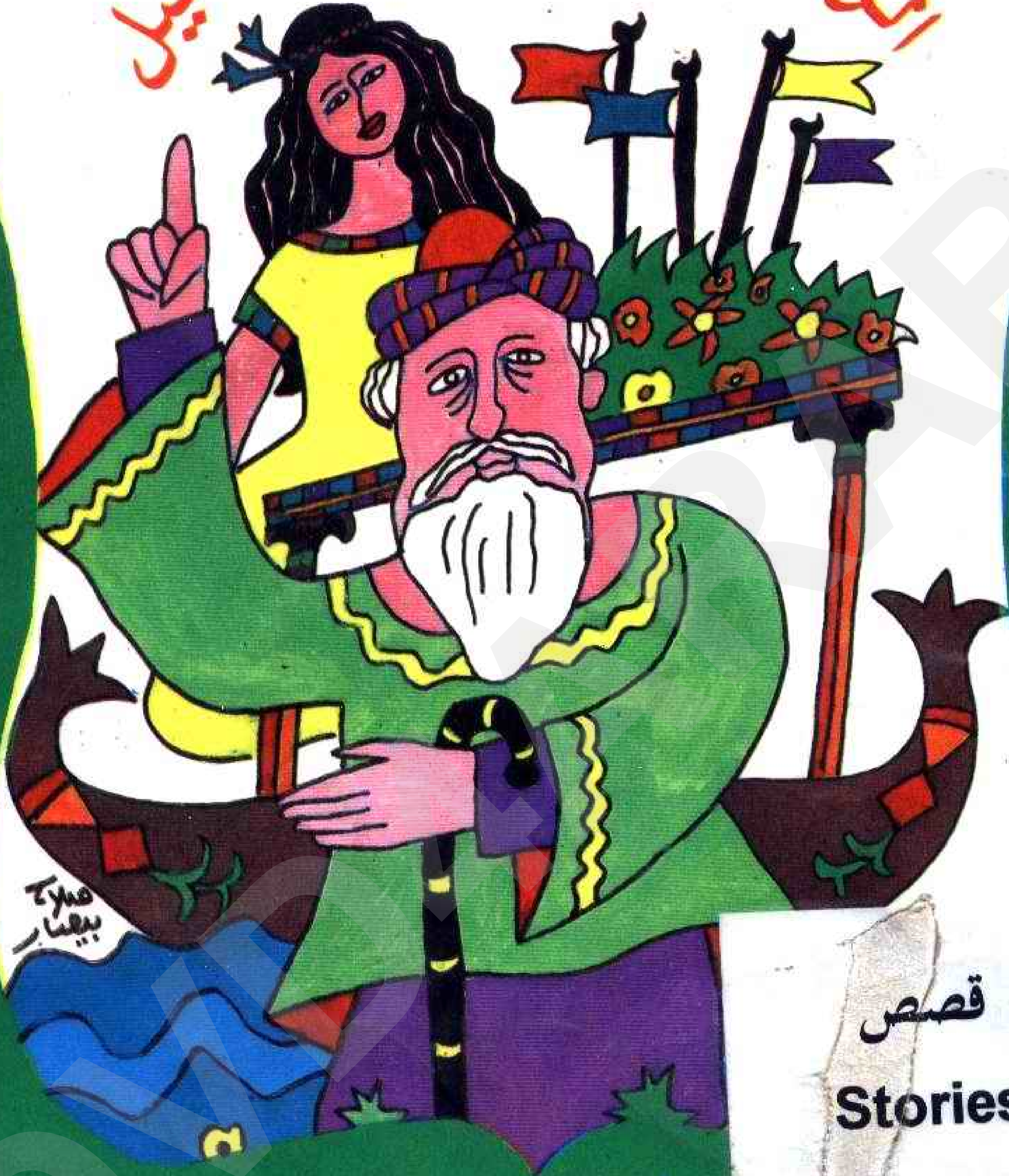
المكتبة الخضراء للأطفال

٣٩

# الرحلة العجيبة لعروس النيل

يعقوب الشارونى



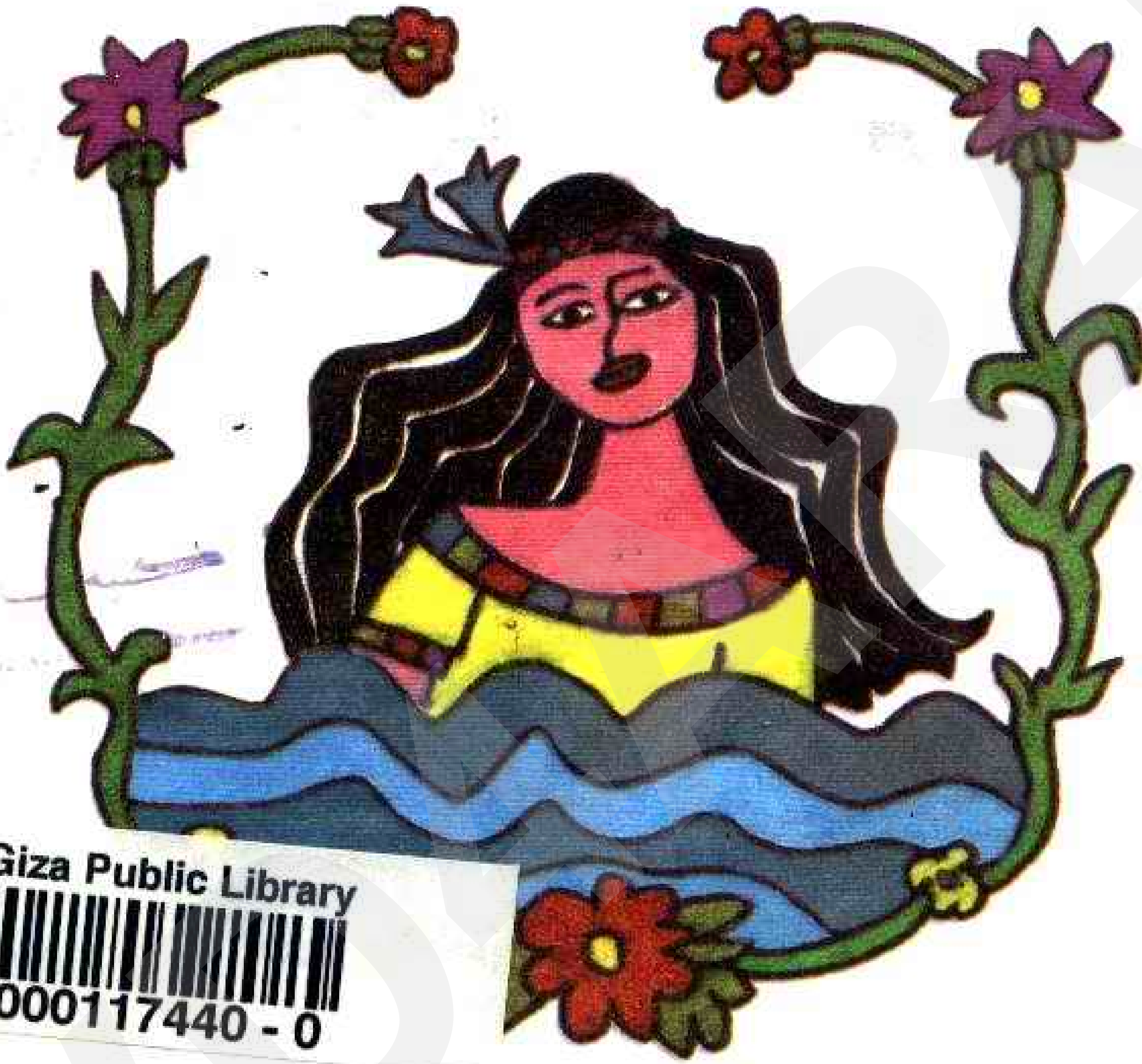


دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال

# الرحلة العجيبة لعروس النيل

(٣٩)





رسوم : صلاح البيصار

بقلم: يعقوب الشاروني



دار المعارف

الطبعة الثانية



كانَ الأصدقاءُ الخمسةُ قد تجمَعُوا فى حديقةِ بيتِ أمل ، فقد تعوَّدُوا أن يتجمَّعوا مرَّةً كلَّ أُسبوعٍ في منزلِ أحَدِهِم .

كانتِ الحديقةُ واسعةً ، تُطِلُّ على شاطئِ النيل ، بها عِدةٌ كبيرٌ من أشجارِ البُرْتُقالِ واللَّيْمونِ ، وفى وَسَطِها انطلقَتْ أملُ تطيرُ فى الهواءِ فوقَ أرْجُوحَةٍ ، تَدَلَّتْ منْ فرعِ شجرةِ جُمَّيْزٍ عجوزٍ ، ارتفعَتْ من بينِ أغصانِها أصواتُ تغريدِ طيورٍ كثيرةٍ .

وكانَ عادل ونبيل يتبادلانِ دَفْعَ الأُرجوحةِ إلى الأمامِ وإلى الخلفِ ، وَسَطَ ضَحِكاتِ الأصدقاءِ ، وصراخِ أمل كلما ارتفعتِ الأُرجوحةُ بها عاليًا فى الهواءِ .

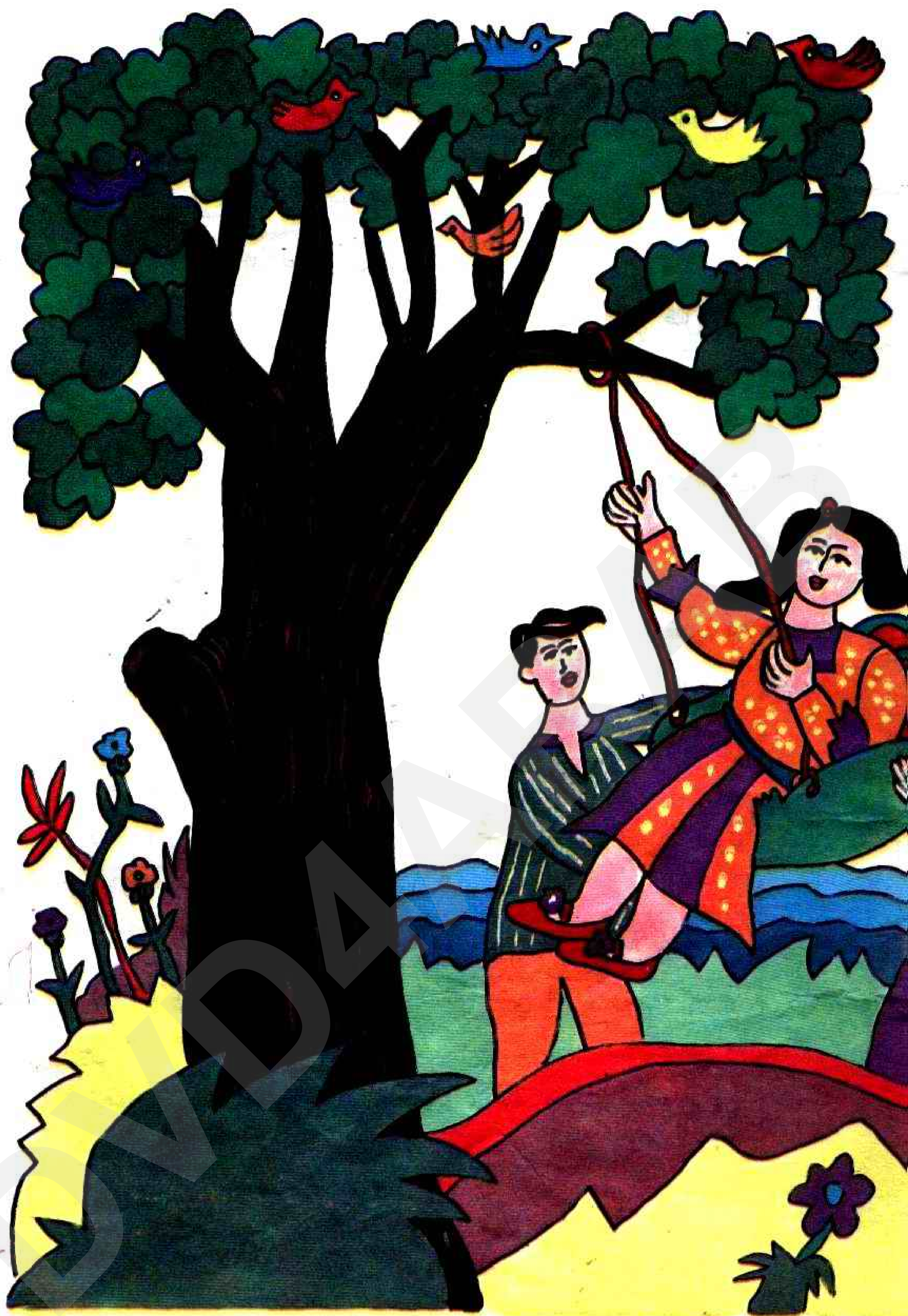
صاحَ نبيل ضاحكًا : « سنرفعُكِ فى المَرَّةِ القادمةِ إلى السَّماءِ ! »

أمَّا كلبُهُم عنتر ، ذو الشَّعرِ النَّاعمِ الأسودِ الطويلِ والعينينِ البَرَّاقَتَيْنِ ، فقد أخذَ يَتَقافَزُ فى مرحٍ ، كأنما يشاركُهُمْ لَعِبَهُمْ .

قالَتْ دعاءُ ، وقدِ استغرقَتْ فى تأمُّلِ حركاتِ عنتر : « مارأيتُ أذكى من هذا الكلبِ .. لم يبقَ إلاَّ أن يعلِّمَهُ عادل النُّطقَ عمَّا قريبٍ » .

هُنا توقَّفَ عنتر عن لعبِهِ ، لِتُتابعَ عيناهُ أمل ، وهى ترتفعُ عن الأرضِ وتنخفضُ .





وفجأةً سمعَ الأصدقاءُ صوتَ بكاءٍ ، سكتَ مَعَهُ تغريدُ الطُّيورِ فوقَ شجرةِ الجُمّيْزِ .

لم يكُنِ الصَّوتُ عاليًا ، لكنهُ كانَ يثيرُ الشفقةَ .

وتوقَّفَ الأصدقاءُ عن لَعِبِهِمْ ، وأنْصَتوا .

أخيرًا قطعَ علاء الصمتَ قائلاً : « أظنُّهُ صوتَ طفلٍ ضلَّ طريقَهُ » .

صاحتْ دعاء فى قلقٍ : « طفلٌ ؟ ! ليذهبْ كلُّ واحدٍ منّا فى اتجاهٍ ، يبحثُ عنهُ » .

وكانَتْ أمل الصغيرةُ أوَّلَ مَنْ عادَ ، فوقفَتْ تتلفَّتُ حولَها فى حيرَةٍ بحثًا عن بقيَّةِ الأصدقاءِ .

* * *

ثمَّ ظهرَ نبيل ، فقالَ لها ضاحكًا : « لاشكَّ أننا سمِعْنا مُوَاءَ قطٍّ . أما علاء ، فقد صوَّرَ له خيالُهُ الواسعُ ، أنهُ يسمعُ بكاءَ طفلٍ !! » .

هنا رَجَعَ عادل معَ علاء . قالَ عادل : « لم نجدْ أطفالاً .. »

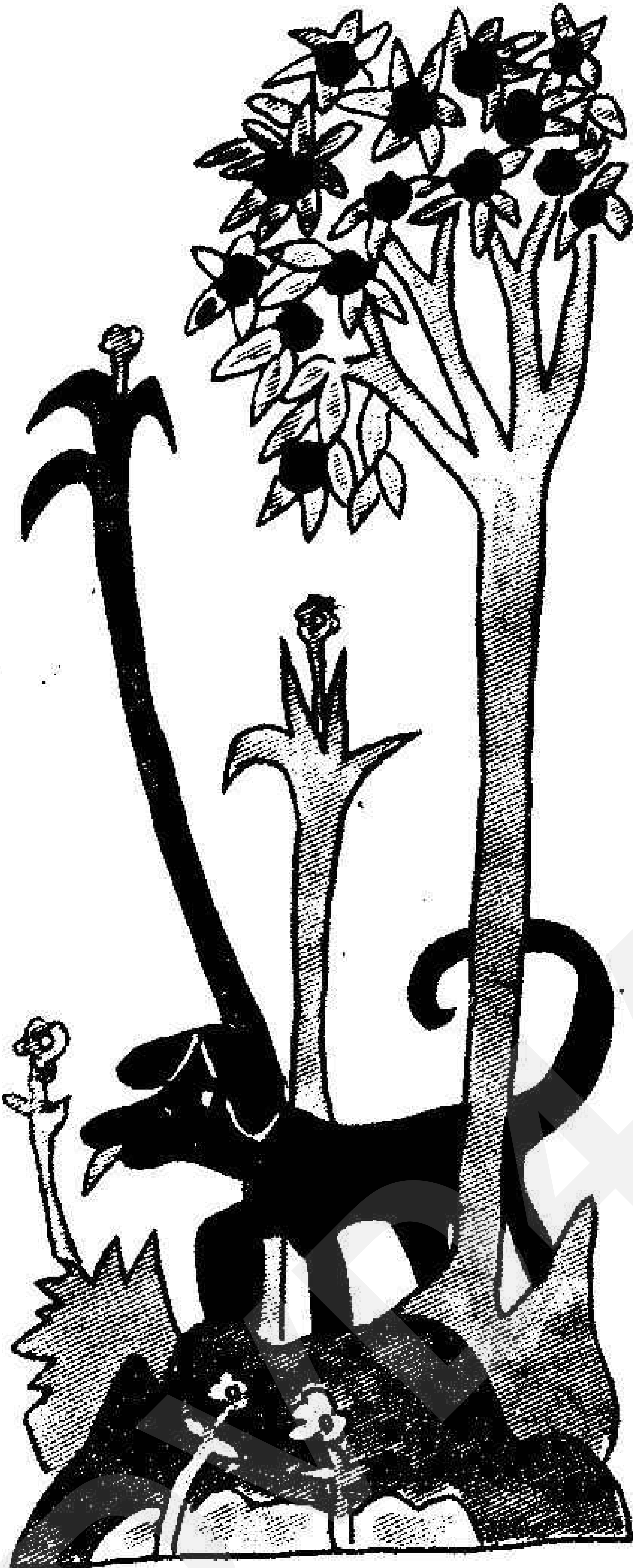
وأضافَ علاء : « ولا حتَّى كبارًا !! »

فقال نَبيل فى سخريةٍ : « طبعًا .. لأنَّ القطةَ التى سمعتُ صوتَها كانَتْ تريدُ تسلُّقَ شجرةٍ ، وقد تَسَلَّقَتْها !! »

فى تلكَ اللحظةِ ، وصلَتْ دعاء ، وعلى وجهِها علاماتُ الخيبةِ وهى تقولُ : « أينَ اختفى هذا الطفلُ ؟ ! أخشَى أن يكونَ قد سقطَ فى ماءِ النيلِ ! »

وقبلَ أن يَطْلِقَ عليها نبيل سخرياتِهِ ، عادَ صوتُ البكاءِ يرتفعُ واضحًا من جديدٍ !

هنا أحسَّ عنتر بحيرةِ أصحابِهِ . وبذكاءِ الحيوانِ فهمَ أنَّهم يبحثونَ عن مصدرِ البكاءِ .



وفي هدوءٍ ، قامَ ، وهزَّ ذيلَهُ ، وانطلقَ يستأنفُ البحثَ .

واخترقَ عنتر حاجزَ أشجارِ البرتقالِ واللَّيمونِ ، وخرجَ من بينها إلى شاطئ النيلِ .

ومِنْ هناكَ ، سمعَهُ الأصدقاءُ ينبحُ نُباحًا عاليًا .

قالَتْ أملُ : « عنتر يَدعونا إليهِ .. لقد عثَرَ على شيءٍ !! »

وأسرعَ الأصدقاءُ يَجرونَ نحوَ عنتر .

وكم كانتِ المفاجأةُ قويَّةً بالنِّسبةِ إليهم جميعًا !

لقد وقفَ الأصدقاءُ الخمسةُ بَعْضُهُمْ إلى جوارِ بعضٍ ، وقد تَسَمَّرَتْ أقدامُهُم إلى الأرضِ ، وعيونُهُمْ تنظرُ إلى الأمامِ في ذهولٍ !!

لَمْ يَكُنِ البكاءُ صادرًا عن طفلٍ ضالٍّ كما ظنُّوا ، بل كانَ يصدرُ عن آخرِ شخصٍ يُمْكِنُ أنْ يتوقَّعوا رؤيَتَهُ يبكى على شاطئ النيلِ !!

صاحَ نبيل مُضْطَرِبًا ، رغمَ ما يتَّصفُ به من خِفَّةِ ظلٍّ ، وهوَ لايزالُ متسمرًا فى مكانِهِ معَ باقى الأصدقاءِ : « هلْ هذا حقيقىٌّ ؟ ! أنا لا أصدِّقُ !! هل أرى أمامى حقًّا عروسَ النيلِ ؟ ! »

قالَ علاء ، ودهشتُهُ تفوقُ دهشةَ نبيل : « إنها هى بعَيْنِها .. ما الَّذِى عادَ بها إلى هُنا ، بعدَ أنْ ذهبتْ إلى عالَمِها فى أحضانِ النيلِ منذُ يومَيْنِ ؟ ! »



وعادَتِ الحوادثُ التى وقعت منذُ يومينِ فقطْ ، تعيشُ حيَّةً مرةً أُخرى فى ذاكِرَتِهم جميعًا ...

فقبلَ يومين ، كانَتْ مجموعةُ الأصدقاءِ « عادل ونبيل وعلاء ودعاء وأمل » ، يقفونَ على شاطئِ النيلِ ، عندَ الحديقةِ الَّتى تحيطُ بالمِسَلَّةِ الفِرْعونِيَّةِ ، المُطِلَّةِ على شاطئِ النيلِ قربَ برجِ القاهرةِ ، وقد ظهرت حولَها فى كلِّ مكانٍ ، نماذجُ من المبانى والنُّقوشِ الفرعونيةِ الجميلةِ .

كانت أمل أصغرَهُمْ فى التاسعَةِ من عمرِها ، وأكبرُهُمْ عادل فى الثانيةَ عشرَةَ .

وفجأةً قفزَتْ أملُ واقفةً ، وأشارَتْ بيدِها فى حماسٍ إلى سفينةٍ تُرَفْرِفُ فوقَها الرَّاياتُ بدأَتْ تقتربُ من بعيدٍ ، وصاحَتْ : « الاحتفالُ بدأ .. »

وانطلقَ الأصدقاءُ الخمسةُ يُلَوِّحونَ بأيديهِمْ للسَّفينةِ ، وهى تشقُّ الماءَ ، فخورةً بنفسِها فوقَ سطحِ النيلِ .

قال عادل : « إنها تشبهُ السُّفنَ الفرعونيةَ . انظروا إلى الأعمدةِ الَّتى تحملُ سقفَها .. لكلِّ عمودٍ تاجٌ يشبهُ زهرةَ اللُّوتَسِ المُتَفَتِّحَةَ » .

وأضافَتْ دعاء : « وقرصُ الشمسِ بجناحَيْهِ المُتَمَيِّزَيْنِ ، يُطِلُّ على كلِّ ركنٍ فيها » .

وتزاحمَ حولَهُم ومن خلفِهِم ، مئاتٌ ومئاتٌ من الصِّغارِ والكبارِ ، يهتفونَ ويرفعونَ الأعلامَ ، وقد جاءوا يشاركونَ فى الاحتفالِ « بوفاءِ النيلِ » .

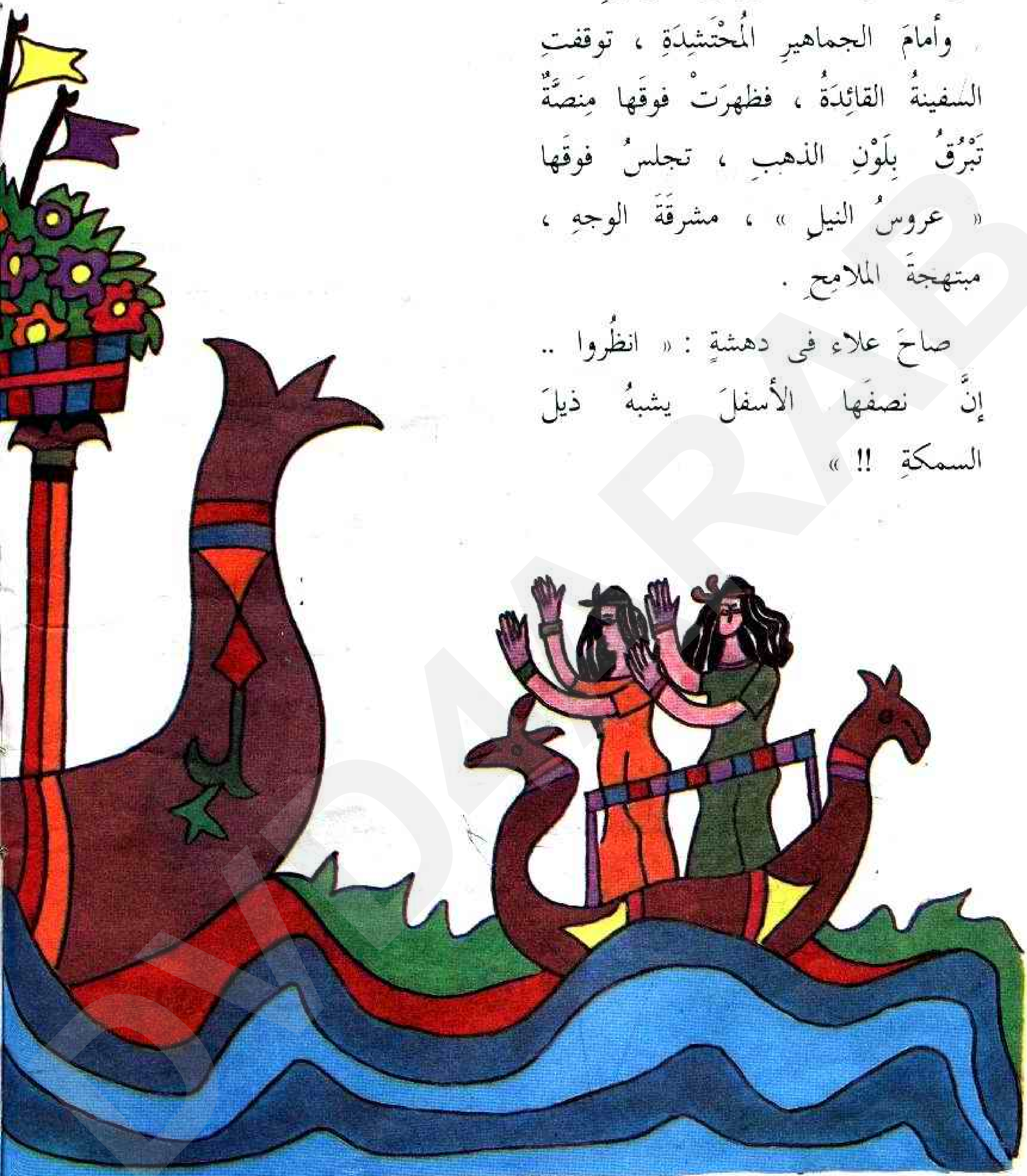
واقتربتِ السفينةُ الكبيرةُ من الشاطئِ ، وقدِ انتشرَتْ فى كلِّ جوانِبِها باقاتٌ من الورودِ ، ورفرفَتْ حولَها بالوناتٌ معلَّقةٌ مختلفةُ الأحجامِ والألوانِ .

ومن خلفِ السفينةِ الكبيرةِ ، ظهرَ موكبٌ من سفنٍ أصغَرَ حجمًا ، مزخرفةٍ برسومٍ فرعونيةٍ على شكلِ طيورٍ وغزلانٍ ، وازْدانَتْ كلُّها بالورودِ وأغصانِ الأشجارِ والأوراقِ المُلَوَّنةِ .

وظهرَتْ فوقَ كلِّ سفينةٍ ، مجموعاتٌ من الشَّبابِ والفتياتِ ، يرتدونَ الملابسَ الفرعونيةَ البيضاءَ ، يميِّزُهَا غِطاءُ الرأسِ بأشرطتِهِ الصفراءِ والزرقاءِ ، وحزامُ الوَسطِ العريضُ يتدلَّى طرفُهُ طويلاً منَ الأمامِ ، تُزيِّنُهُ رسومُ نباتاتِ البَرْدى الرشيقةُ ، وزهورُ اللُّوتَسِ المتفتحةُ .

وأمامَ الجماهيرِ المُحْتَشِدَةِ ، توقفتِ السفينةُ القائِدَةُ ، فظهرَتْ فوقَها مِنصَّةٌ تَبْرُقُ بِلَوْنِ الذهبِ ، تجلسُ فوقَها « عروسُ النيلِ » ، مشرقَةَ الوجهِ ، مبتهجَةَ الملامِحِ .

صاحَ علاء فى دهشةٍ : « انظُروا .. إنَّ نصفَها الأسفلَ يشبهُ ذيلَ السمكةِ !! »





وشاركَهُ عددٌ كبيرٌ من المشاهدين فى دهشتِهِ ، فأخذوا يتزاحمونَ ليروا عن قرب « ذيْلَ » عروسِ النيلِ الَّذى أشارَ إليه علاء ، فهذا هو الذى يجعلُها قادرةً على أنْ تعيشَ داخلَ الماءِ ، كما تعيشُ خارجَهُ .

وفى نفسِ اللحظةِ ، صاحَتْ دعاء فى إعجابٍ شديدٍ : « ما أجملَ وجهَها وشعرَها !! إنها ملكةُ جمالِ عرائسِ البَرِّ والبحرِ . »

كانَ السِّحْرُ يُشِعُّ من عينيها ، ووجهُها يتألَّقُ كأنما يحيطُهُ ضوءٌ من السماءِ .

ومن جنباتِ السفينةِ ، ارتفعَتْ نغماتٌ هادئةٌ ناعمةٌ ، لم تلبَثْ أن تحوَّلَتْ إلى موسيقى عاليةٍ مرحةٍ .

ووقفَ رجلٌ وقورٌ ، له لحيةٌ بيضاءُ كبيرةٌ ، يرتدى ملابسَ فضفاضةً ، منسوجةً بخيوطِ الذهبِ والفضةِ . وما إنْ وقفَ ، حتىَّ وقفَ كلُّ مَنْ كانَ بالسفينةِ ، يتطلعون إلى وجهِهِ ، وينتظرونَ حديثَهُ .



قالَ نبيل ، وهو يشيرُ إلى الرجلِ صاحبِ اللحيةِ : « أعتقدُ أنه رئيسُ الاحتفالِ » .

وظلَّ الرجلُ يتقدمُ ببطءٍ ، إلى أن وصلَ أمامَ مِنَصَّةِ عروسِ النيلِ . وفى هدوءٍ رفعَ يدَهُ ، فتوقَّفَتِ الموسيقى ، وسكَتَتِ الهتافاتُ .

وجاءَ صوتُهُ عميقًا واضحًا ، قويًّا ومؤثّرًا ، فأصغى إليه الأصدقاءُ الخمسةُ مع كلِّ الناسِ فى اهتمامٍ شديدٍ وهو يقولُ :

« اعترافًا منْ أبناءِ مصرَ ، بما يقدِّمُهُ لهمُ النيلُ العظيمُ منْ خيرٍ وحياةٍ ، نحتفلُ اليومَ ، كما احتفلَ أجدادُنَا منذُ مئاتٍ وآلافِ السِّنينَ ، بعيدِ فيضانِ النيلِ . إننا نتذكَّرُ اليومَ صِفَةَ الوفاءِ مِنْ نهرِنا الكريمِ . إنَّ نيلَنا العظيمَ ، لم ينسَ فى أىِّ عامٍ أبناءَهُ ، بناتِ وأولادَ مصرَ ، فيأتى إليهِمْ كلَّ صيفٍ بماءِ الفيضانِ الغزيرِ ، وما يحملُهُ من طَمْيٍ للأرضِ ، وخَصْبٍ للزرعِ » .

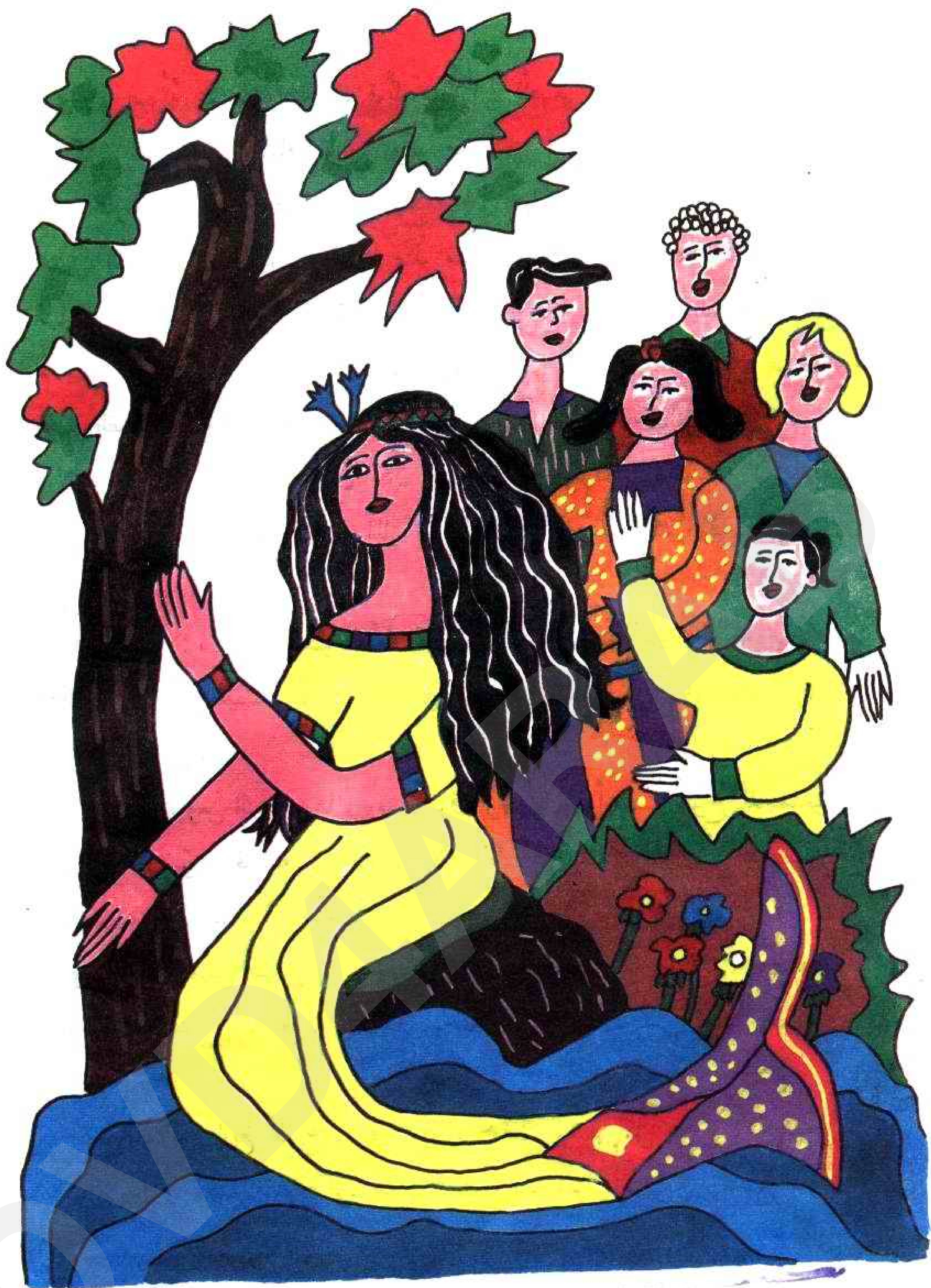
همسَتْ أمل لعادل ، الَّذى كانَ يقفُ إلى جوارِها : « ولماذا لا يأتى الفيضانُ الآنَ ؟ ! إنَّ ارتفاعَ الماءِ فى النيلِ ، لا يتغيَّرُ كثيرًا فى الصيفِ عن الشتاءِ » .

قالَ عادل : « هل نسيتِ السَّدَّ العالِىَ يا أمل ؟ ! إنَّهُ يحجزُ خلفَهُ الآنَ ، الزائدَ من ماءِ الفيضانِ ، لتستفيدَ بِهِ مصرُ ، عندما يقلُّ الماءُ الواردُ إلينا من منابعِ النيلِ » .

ورفعَتْ عروسُ النيلِ يدَها ، وقد أشرقَ وجهُها ، وأخذَتْ تُلَوِّحُ للجماهيرِ بمنديلٍ أخضرَ ، فارتفعَتْ هتافاتُ الأصدقاءِ الخمسةِ ، مع بقيةِ الجمهورِ المحتشدِ ، تحيةً لملكةِ الاحتفالِ .

وتقدَّمَتْ ثمانى فتياتٍ ، يَرْتَدِينَ ملابسَ خضراءَ مثلَ الزرعِ ، وصفراءَ ذهبيَّةً مثلَ القمحِ النَّاضِجِ ، وحَمَلْنَ المِحَفَّةَ الَّتى كانَتْ تجلسُ فوقَها العروسُ الجميلةُ .

كان للمِحَفَّةِ أربعُ أذرعٍ . وفى رقةٍ ، حملَتْ فتاتانِ كُلَّ ذراعٍ ، وتَقَدَّمْنَ بالعروسِ إلى موضعٍ مفتوحٍ فى حاجزِ السفينةِ ، به مُنْزَلَقٌ ينتهى إلى سطحِ الماءِ .



وعندَ الحافةِ العُليا للمُنْزَلَقِ ، أنزلتِ الفتياتُ المِحَفَّةَ .

وواصلَتِ العروسُ تحيَّتَها للجماهيرِ ، وهى تُلَوِّحُ بمنديلِها ، وتبتسمُ لهمُ ابتسامةَ الوداعِ .

وتقدَّمتِ الفتياتُ ، وحملْنَ عروسَ النيلِ من فوقِ المحفَّةِ .

وبحركةٍ رشيقةٍ ، انزلقتِ العروسُ السعيدةُ من بينِ أيديهنَّ ، وتهادَتْ إلى أحضانِ والدِها النيلِ ، لتعودَ إلى موطنِها الأصليِّ فى الأعماقِ .

وارتفعَ تصفيقُ الجماهيرِ وهتافُهم ، وقد تركزَتْ عيونُهم عِند نقطةٍ على سطحِ الماءِ ، اختفتْ تحتَها عروسُ النيلِ . كانوا كأنما يريدونَ بعيونِهم شَقَّ الماءِ ، ليعرفوا أينَ ذهبَتْ !!

* * *

وللمرَّةِ الثانيةِ ، تردَّدَ صوتُ صاحبِ اللحيةِ البيضاءِ ، رئيسِ الاحتفالِ ، وهو يقولُ :

« وكما يحرصُ النيلُ على الوفاءِ بعهدِهِ لمصرَ ، فيعطيها الخيرَ والحياةَ ، فإنَّ أبناءَ مصرَ لابدَّ أن يكونوا أوفياءَ له ، فيحرصوا على رعايَتِهِ ، والمحافظةِ على نظافَتِهِ ، وحمايَتِهِ من أخطارِ التلوُّثِ » .

وعادَتِ السفينةُ تَتهادى مبتعدةً عن الشَّاطئِ ، فتفرَّقَ المُشاهدون جماعاتٍ ، كلُّ جماعةٍ تستعيدُ ما شاهدَتْ وما سمعَتْ .

واستدارَ الأصدقاءُ الخمسةُ ، يسيرونَ على مهلٍ ، والمَشاهِدُ التى عاشوا مَعَها تسيطرُ على خيالِهم .

قالَتْ دعاء : « فى المستقبَلِ ، سَتَنْزَلِقُ عروسُ النيلِ إلى الماء من طائرةٍ هليوكبتر !! »

قالَ علاء ضاحكًا :« الحمدُ للهِ أنكِ لم تقولى من صاروخٍ !! »

* * *

تذكَّرَ الأصدقاءُ الخمسةُ كلَّ هذا ، وهم يقفونَ الآنَ فى دهشةٍ وحيرةٍ حولَ عروسِ النيلِ ، التى عَثَروا عليها بعدَ أن عادَتْ مِنَ النهرِ ، تَبكى ، بعدَ يَوْمَيْنِ فقط من الاحتِفالِ بوفاءِ النيلِ ، الذى نزلَتْ فيه إلى أعماقِ النهرِ .

واقتربوا من عروسِ النيلِ ، وأحاطوا بها ،وقد ملأَتْهُمُ الشفقةُ عليها .

كانتْ تجلسُ بين بعضِ النباتاتِ الخضراءِ التى تغطِّى ضفَّةَ النهرِ ، ونحلةٌ صغيرةٌ تدورُ حولَ رأسِها ، تبحثُ عن رحيقٍ فى زهرةٍ بين تلكَ النباتاتِ .

قالَتْ دعاء ، وقد تمالَكَتْ نفسَها قليلاً : « لماذا عادَتْ ؟ ! ولماذا تبكى يا تُرى ؟ ! »

واقتربَتْ أملُ الصغيرةُ ، وطوَّقَتْ عروسَ النيلِ بذراعَيْها ، وقَبَّلَتْها فى وَجْنَتِها ، وهمَسَتْ لَها فى رقَّةٍ وهى تبتسمُ :« والدتى تقولُ : البكاءُ لا يحلُّ شيئًا ... امسحى دموعَكِ » .

ولم تُجِبْ عروسُ النيلِ .

وبدأَ علاء يُفيقُ من دهشتِهِ ، فقال : « هيَّا بنا نَحْمِلْها إلى داخلِ الحديقةِ ، ثمَّ نبحثْ عن سببِ عودَتِها إلينا » .

وَسَرْعانَ ما تعاونَ الأصدقاءُ الخمسةُ ،وحملوا عروسَ النيلِ إلى جوارِ الأُرْجوحةِ ، تحتَ الجُمَّيْزَةِ ، يتقدَّمُهُمْ عنتر ، كأنما يعلنُ عن اكتشافِهِمُ الخطيرِ !!



استراحَتْ عروسُ النيلِ ، وقدِ التفَّ حولَها الأصدقاءُ ، واندسَّ وسطَهُم عنتر ، والقطَّةُ مشمشة ، قطةُ أمل المُدَلَّلَةُ ، والعصافيرُ والطيورُ التى كَفَّتْ عن التَّغريدِ . كانَ الجميعُ متلهِّفينَ لمعرفةِ سببِ بكاءِ عروسِ النيلِ ، وسببِ عودتِها إلى الشاطئ .

وأخرجَتْ أمل منديلاً ، جَفَّفَتْ به دموعَ العروسِ ، وهى تسألُها ثانيةً بصوتٍ منخفضٍ ، يملؤهُ القلقُ : « لماذا تبكينَ أيتها الجميلةُ الحزينةُ ؟ ! هل هناكَ عروسٌ تبكى ؟ ! »

وأكملَتْ دعاء التساؤلَ قائلةً : « لقدْ كنتِ سعيدةً بعودتِكِ إلى أحضانِ والدِكِ النيلِ ، فلماذا تركتِ زميلاتِكِ تحتَ الماءِ ؟ وكيفَ خرجتِ ؟ وهل ستعودينَ مرَّةً أخرَى ؟ ! »

هنا قاطعَها نبيل قائلاً فى مرحٍ : « ماكلُّ هذا العَيْلِ من الأسئلةِ أيتها الفتياتُ ؟ ! »

ثم التفتَ إلى عروسِ النيلِ ،يسألُها ضاحكًا ليخفِّفَ عنها : « لقد شعرنا جميعًا بفرحتِكِ عند نزولِكِ إلى الماءِ .. هيَّا ابتسِمى من جديدٍ ، وقولى لنا أولاً ما اسمُكِ ... »

قالتِ العروسُ ، والكلماتُ تخرجُ غير واضحةٍ من فمِها ، بسببِ شهقاتِها وتنهُّداتِها :

« اسمِى وفاء ، ورغمَ سعادتِى يومَ ذهبتُ إلى النَّهرِ الحبيب ، فقدْ كُنْتُ آسفةً لابتِعادى عَنْ عالَمِ البَشَرِ . لم يكُنْ سهلاً أن أترُكَ الشمسَ والطيورَ ، وكلَّ أصدقائى مِنَ الصغارِ والكبارِ ، لكنَّنى كنتُ سعيدةً لذهابى كَى أعيشَ مع والدى النيلِ ، فهوَ كثيرًا ما أعطَانا الحُبَّ والخيرَ : أعطانا الأرضَ

الخَصْبَة ، والزرعَ المُثْمِرَ ، والأسماكَ المتنوعة ، والمياهَ مصدرَ الحياةِ ، ومازالَ يعطينا الكثيرَ . لكن حدثَتْ لى أشياءُ غريبةٌ عجيبةٌ منذُ نزلتُ إلى مَجْرَاهُ » .

قال عادل فى اهتمامٍ : « لاشكَّ أنها أشياءُ شديدةُ الغرابةِ ، تلكَ التى دفعتْ بكِ إلى الخروجِ بهذهِ السرعةِ من أعماقِ النهرِ .. »

قالَتْ وفاء وهى تتنهَّدُ : « لو أنَّ الجميعَ يهتمُّونَ بصحةِ النهرِ ، كما يعتنونَ بصحَّتِهِم وصحَّةِ أبنائِهِمْ ، لما حدثَ لى ما حدثَ ! »

قالَتْ دعاء فى دهشةٍ : « صحةُ النهرِ ؟ ! هذه عبارةٌ أسمعُها لأولِ مرةٍ !! »

قالَتْ وفاء : « سأحكى لكم ما حدثَ ، عندئذٍ ستفهمونَ ما الذى أقصدُهُ من هذهِ العبارةِ » .

وبدأتْ وفاءُ حكايتَها ، وهى تعبِّرُ بملامحِ وجهِها وحركاتِ يدَيْها ، عن مشاعرِها وانفعالاتِها .

قالَت : « عندما نزلْتُ إلى الأعماقِ ، وجدتُ نفسى فى عالمٍ عجيبٍ ، لم أتخيَّلْ وجودَهُ أبدًا .

كانَتْ فى انتِظارى عروسُ نيلٍ صغيرةٌ ، أمسكَتْ يدِى ، وقادَتْنى فورًا إلى داخلِ فُقَّاعَةٍ كبيرةٍ ، من مادةٍ تشبهُ البَلُّورَ ، استقرَّتْ فوقَ قاعِ النيلِ ، معزولةً تمامًا عَمَّا حولَها من ماءٍ ونباتٍ » .

صاحَتْ أملُ : « أنا أحبُّ صُنْعَ الفُقَّاعاتِ من الماءِ والصابونِ ، فهلْ دخلتِ إلى فقاعةٍ مثلِ تلك الفقاعاتِ ؟ »

قال عادل : « أنتِ تتحدثينَ يا أمل عن فقاعةٍ يمتلئُ داخلُها بالهواءِ ، أما وفاء ، فتتحدَّثُ عن مكانٍ يشبهُ الفقاعةَ ، لكنَّهُ يمتلئُ بالماءِ المعزولِ عن بقيةِ ماءِ النيلِ ، بواسطةِ غِلافٍ كأنه الفقاعةُ » .



قالَتْ وفاءُ : « هذا صحيحٌ .. لقد كانَ الماءُ داخلَ الفقاعةِ صافيًا شفَّافًا ، يلمعُ تحتَ أشعةِ الشمسِ التى كانَتْ تخترقُهُ بسهولَةٍ بسبَبِ نقائِهِ . وكَما اعتَدْنا أن نجدَ الماءَ ، لم يكُنْ لهُ لونٌ ولا طعمٌ ولا رائحةٌ ، فقطْ نحسُّ بهِ رقيقًا وهُوَ يداعبُ وجوهَنا وأجسامَنا » .

هنا صاحَ علاء فى دهشةٍ :« لقد رأيْتُ فى فيلمٍ سينمائىٍّ فقاعةً مثلَ هذِهِ ، صنعَها العلماءُ ليعيشوا داخِلَها فوقَ قاعِ البحرِ ، لدراسةِ الأحياءِ البحريةِ التى توجدُ فى أعماقٍ بعيدةٍ عن سطحِ الماءِ » .

قَالَتْ وفاءُ : « لكنَّ هذهِ البلورةَ التى دخلْتُ إليها ، كانَتِ النباتاتُ الكثيفةُ تنمو داخِلَها . كانت نباتاتٍ نضرةً زاهيةً متنوعَةَ الأشكالِ ، تتحرَّكُ بينَها أسماكٌ متعددةُ الأحجامِ رشيقةُ الحركاتِ . وكلُّها نباتاتٌ وأسماكٌ لا أتذكَّرُ أنّى رأيتُ مثلَها خارجَ البلُّورةِ . »

قالَ نبيل ضاحكًا : « كانَ يجبُ أن تأخذينى مَعَكِ ، لأرى كلَّ هذهِ الغرائِبِ والعجائِبِ » .

قالَتْ وفاء : « انطلِقْ معى بخيالِكَ ، فتزدادَ إعجابًا بما شاهَدْتُ .. لقد أخذْتُ أتأمَّلُ كلَّ ذلكَ الجَمالِ حولى ، حتَّى نسيتُ نَفْسى ، فقد كانَتِ انعكاساتُ الأضواءِ على الماءِ الصَّافى ، وهى تتسلَّلُ من خلالِ الفقاعةِ ، تنقُلُنى إلى حُلْمٍ مثل أحلامِ الخيالِ الجميلِ » .

قالَ علاء : « لقد كنتُ أجلسُ ذاتَ ليلةٍ على شاطئِ النيلِ ، ورأيتُ تلكَ الانعكاساتِ على المياهِ ، وأحْسَسْتُ بنفسِ ما شَعَرْتِ به يا وفاء » .

وافَقَتْهُ وفاءُ قائلةً : « لقد كان الجَمَالُ يُحيطُ بى فعلاً من كلِّ مكانٍ . وتلفتُّ حولى ، فرأيتُ عرائسَ كثيرةً ، تمتازُ بالرقَّةِ والرشاقةِ ، تتوسَّطُها

عروسٌ ظَهَرَ مِنْ ملامِحِها أنَّها أكبرُهُنَّ سنًّا ،وعلى رأسِها تاجٌ مرصَّعٌ باللؤلؤ والأصدافِ . »

قالتْ دعاءُ ، وهيَ تداعبُ وفاءَ : « وهكذا دَخَلْتِ إلى عالمٍ كأنَّهُ عالَمُ ألْفِ ليلةٍ وليلةٍ !! »

نظرَتْ إليها وفاءُ والحُزْنُ يملأُ عينَيْها ، وقالَتْ : « لقد توقَّعْتُ أن ترحبَ العرائسُ بى ، كما يرحبُ أهلُ الأرضِ بضيوفِهم . وكنتُ أنتظرُ من كل هؤلاءِ الجميلاتِ نظراتِ الودِّ والصداقةِ ، لكنَّهُنَّ نَظَرْنَ إلىَّ نظراتٍ غريبةً أَقْلَقَتْنى ، ثم قالَتْ لى كبيرتُهُنَّ فى غير ترحابٍ ، جعلنى أفيقُ من أحلامى : ستبقينَ معَنا ، لكن كونى على حذرٍ !! »

وبغيرِ تفكيرٍ هتفَتِ الصَّغيرةُ أملُ فى استِنْكارٍ : « حَذَرٍ ؟ ! »

وتساءَلَ علاء فى حيرةٍ : « ولماذا الحذرُ ؟ ! »

أجابتْ وفاءُ : « عندما سمعْتُ هذه العبارةَ ، نسيتُ كلَّ ذلكَ الجمالِ ، ولم أعُدْ أرى الأضواءَ ولا الألوانَ ولا صفاءَ الماءِ ، فقد صدَمَتْنى عبارَتُها الجافَّةُ التى لم أفهَمْ معناها ، فسألْتُها وقد ازدادَ قلقى : أينَ أنا الآنَ ؟ »

أجابتنى : « أنتِ فى برجِ عرائسِ النيلِ . ونحنُ العرائسُ التى شاركَتْ فى احتفالاتِ وفاءِ النيلِ السابقةِ ، نعيشُ فى هذا العالمِ المائىِّ مع النيلِ ، والِدِنا العظيمِ : هو يقدِّمُ لنا الحياةَ بمائِهِ وخيراتِهِ ، ونحنُ نرعاهُ ، ونحاولُ المحافظةَ على نظافتِهِ . لكنَّنا لم نستطعْ أخيرًا إلا تنظيفَ هذه الفقاعةِ ، التى نُسمِّيها البرجَ ، لنعيشَ فيها ، بعدَ أن صنعتها عرائسُ النيلِ بمساعدةِ الأسماكِ . ونحن نحذِّرُكِ ، حتَّى لا تتسبَّبى فى تلويثِها » .

قلت : « ولماذا تتوقَّعينَ أن ألوِّثَها ؟ ! لقد وصلْتُ الآنَ فقطْ » .

قالَتْ : « هذا تحذيرٌ نقولُهُ لكلِّ مَنْ يدخلُ لأولِ مرةٍ إلى برجِنا النقىِّ هذا » .
سألَها نبيل : « ومَنْ كانَتْ هذه ؟ .. هل هى رئيستُهُنَّ ؟ »
قالَتْ وفاء : ظننتُ ذلك مثلَكَ ، فسألْتُها : « هل أنتِ الملكةُ هنا ؟ »
أجابَت : « تقصدينَ هذا التَّاجَ الذى على رأسى ؟ ! إنَّ والدَنا النيلَ العظيمَ ، يختارُ كلَّ عامٍ واحدةً منَّا ، تكونُ قد تَميَّزَتْ عن زميلاتِها فى العنايةِ به صافيًا نظيفًا ، ويضعُ فوقَ رأسِها هذا التاجَ ، فتظلُّ تتزيَّنُ به طوالَ العامِ » .
قلتُ لها : « لكنْ لماذا هذا الاستقبالُ الجافُّ ، الذى لم أكُنْ أتوقَّعُهُ ؟ »
فى تلكَ اللحظةِ ، اندفعَتْ نحونَا عروسٌ أخرى ، نحيفَةُ الجسمِ ، لها شعرٌ ذهبىٌّ طويلٌ ، وقالَتْ : « تقصدينَ أننا لم نرحِّبْ بكِ كما يجبُ ؟ ! لقد اعتدْنا يا وفاء أن نكونَ أكثرَ ترحابًا بضيوفِنا ، لكنَّنا غاضبونَ من العالَمِ الذى جئْتِ منهُ » .
قلْتُ : « إنه عالَمٌ ملآنُ بالحبِّ والخيرِ والجَمالِ » .
قالَتِ العروسُ ذاتُ الشعرِ الذهبىِّ :« بل أتيتِ من عالمٍ أصبحَ يهدِّدُ حياةَ والدِنا العظيمِ ! »
قال عادل مستنكرًا : « نحنُ نعرفُ جيدًا أنَّ مصرَ هبةُ النيلِ ، فكيفَ نفعلُ ذلكَ ؟ »
أكملَتْ وفاء حديثَها : « لقد شرَحَتِ العروسُ ذاتُ الشعرِ الذهبِّى ما تَقصِدُ » .
قالَتْ لى : « كانَ الناسُ فيما مضى يحافظونَ على النيلِ ، ويحرصونَ على صفاءِ مائِهِ . أمَّا الآنَ ، فهم يُمَثِّلونَ خطرًا شديدًا عليهِ » .





قلتُ : « يستحيلُ أن يكونَ هناكَ مَنْ يَقْصِدُ فعلَ ذلكَ ! »

قالَتْ : « حتّى تتأكّدى بِنفسِكِ مِمّا أقولُ ، سَتَصْحَبُكِ السمكةُ بُلْطِيَّةُ فى رحلةٍ ، لتشاهدى ما وصلَ إليه حالُ نيلِنا » .

قالَ علاء : « لقد حَلَمْتُ كثيرًا أن أقومَ برحلةٍ فى قاعِ النِّيلِ ! »

قالت وفاء : ليتَكَ كنتَ معى ، لترى ما رأيتُ .لقد خرجْتُ أنا والسمكةُ بلطيةُ من فقاعةِ البرجِ البَلُّورِيَّةِ ، فوجدتُ لونَ الماءِ خارجَها متغيِّرًا .. كانَ قد فَقَدَ شفافِيَّتَهُ ، وأصبحَ عَكِرًا .

وفى طريقِنا ونحنُ نَشُقُّ الماءَ ، قابَلْنا بعضَ الأسرابِ الصغيرةِ من الأسماكَ . لمْ تكنْ تتحرّكُ بالنشاطِ الذى اعتدتُ أن أعْرِفَهُ عن أسماكِ النيلِ . كما شاهدْتُ بعضَ النباتاتِ ، لكنَّ مُعْظَمَها كانَ قد فَقَدَ نَضارَتَهُ ،وبدأ الذُّبولُ يظهرُ عليهِ .

وفجأةً رأينا أمامَنا سمكةً كبيرةً تتلوَّى ، تصعدُ وتهبطُ من شدةِ الألمِ ، ثمَّ أخذَتْ حركَتُها تخمُدُ قليلاً قليلاً ، وهى ترتعدُ بشدَّةٍ ، إلى أن سكنتْ





تمامًا . ثمَّ غاصَتْ إلى القاعِ ، حيثُ ارتمَتْ بدونِ حركةٍ .

قالَتْ أملُ فى انزعاجٍ حقيقىٍّ : « وهل تركتُموها بغيرِ إسعافٍ ؟ ! »

قالَتْ وفاءُ : بَلْ أسرعْنا إلى طبيبِ الأسماكِ : الدكتورِ قرموط .

قالَتْ له بلطيةُ : أسرِعْ يا دكتور .. زميلةٌ أخرى لنا أصابَها ما أصابَ زميلاتٍ كثيراتٍ خلالَ الفترةِ الأخيرةِ .

ولم ينتظِرِ الدكتورُ قرموط ليسمعَ أكثرَ من ذلكَ ، بل أخذَ حقيبةَ أدواتِهِ ، وأسرعَ مَعَنا .

وانهمَكَ يفحصُ السمكةَ الَّتى استقرَّتْ ساكنةً فوقَ القاعِ . نظرَ فى عينَيْها ، وفتحَ خياشيمَها ، ووضعَ سمَّاعَتَهُ الطِّبِّيَّةَ فوقَ أجزاءٍ متعددةٍ من جسمِها . ثمَّ توقَّفَ لحظةً ، عادَ بعدَها إلى فحصِها بدقةٍ من جديدٍ .

وأخيرًا نظرَ إلينا فى حزنٍ ، وقال : « لا فائدةَ .... »



صاحَتِ السمكةُ بلطيةُ : « هل ماتَتْ ؟ ! »
قالَ الطبيبُ فى أسفٍ :« قتلَها التلوُّثُ هى أيضًا ... !! »
وشاهَدْتُ الدموعَ تتساقَطُ من عينَى السمكةِ بلطية ، حزنًا على صديقتِها . وفى أسًى شديدٍ قالَتْ : « هَلْ رأيتِ يا وفاء ؟ ! الضَّحايا يتساقطونَ كلَّ يومٍ ، وأهلُ العالَمِ الذى جئتِ منه يتجاهلونَ الخطرَ المميتَ الذى تسبَّبُوا فيهِ ... »

* * *

وأكملَتْ وفاءُ حكايتَها . قالَتْ :
وفجأةً ، قَطَعَتْ بلطيةُ حديثَها ، وصاحَتْ : « انظُرى ... »
هنا انْهَالَ فوقَ رأسى شلاَّلٌ من زجاجاتِ البلاستيكِ ، والأكياسِ المملوءةِ بالقمامةِ !!
وفى خوفٍ سألَتْ أملُ : « هل أصابَكُما ذلكَ بأذًى ؟ »
قالَتْ وفاء : لقد جذبَتنِى بلطيةُ بسرعةٍ عنِ المكانِ وهى تقولُ : هيَّا بنا ، حتَّى لا يصيبَنا ما أصابَ زميلَتَنا السمكةَ .
ورغمَ ذلكَ ، أصابَنا من الشَّلالِ شىءٌ غيرُ قليلٍ ، كما أصبحَتْ رائحةُ الماءِ غيرَ طبيعيةٍ !!
قالَتْ بلطيةُ ، وهى لاتزالُ تَشُدُّنى بعيدًا : « إنَّنا نقضِى وقتًا طويلاً كلَّ يومٍ ، لإبعادِ ما نستطيعُ إبعادَهُ مِنْ مثلِ هذهِ المُخلَّفاتِ ، الَّتى يُلقيها علينا سكَّانُ العالَمِ الَّذى جِئْتِ منهُ . لكنْ بسببِ كثرةِ ما يتدفَّقُ فوقَنا من سمومٍ ونفاياتٍ ، عَجَزْنا عن الاحتفاظِ بالنهرِ نظيفًا ، وأصبحْنا نَسْكُنُ تلكَ الفُقَّاعةَ التى نُسَمِّيها برجَ عرائسِ النيلِ ، لنحمِىَ أنفسَنا من مئاتٍ من أنواعِ التَّلوُّثِ الذى يحاصِرُنا فى كلِّ مكانٍ » .

ووصلْنا إلى مكانٍ يظهرُ فيه الماءُ أكثرَ صفاءً ، فقالَتْ بلطيةُ : « يبدو أنَّ هذهِ المِنْطَقَةَ أكثرُ نظافةً » .

لكنها لم تَكَدْ تقولُ هذا ، حتى تساقَطَ فوقَنا ، على غيرِ انتظارٍ ، ترابٌ كثيفٌ من مُخَلَّفاتِ الأسْمَنْتِ ، ألقاهُ بِكَثْرَةٍ أحدُ المصانعِ الضخمةِ القريبةِ من تلكَ المنطقةِ . وحاولْنا أن نبتعدَ ، لكنَّ ترابَ الأسمنتِ ، وما بِهِ من موادَّ كمياوِيَّةٍ ، ظلَّ يطارِدُنا ، بعْدَ أن تغيَّرَ بسببِه مذاقُ الماءِ .

قالَتْ بلطيةُ : « هيَّا نختبئُ فى هذا الكهفِ الذى نراهُ على جانبِ المَجْرَى » .

وفى سرعةٍ ، دخَلْنا من فتحةٍ ليستْ كبيرةً .

وماكِدْنا نستقرُّ لنلتقِطَ أنفاسَنا ، حتَّى اكتشَفْنا أنَّ الكهفَ الذى التجأنا لنحتَمِىَ فيهِ ، له مدخلٌ آخرُ ، تدفَّقَتْ منه نحوَنا كَمِّيَّاتٌ من النِّفاياتِ والعُلَبِ الفارغةِ !!

قلتُ لبلطية : « لقد أصبحنا مُحاصَرَتَيْنِ بالتلوثِ من كلِّ جانبٍ » ..

قالت بلطيةُ وهى تَكُحُّ : « ليسَ أمامَنا إلاَّ المخاطرةُ لكى نخرُجَ مِن هذا المكانِ » .

قاطَعَها علاء : « لقد سمعتُ قصصًا عن أشخاصٍ فقدوا حياتَهُم فى مثلِ تلكَ الكهوفِ » .

قالَتْ وفاء : لقد شعَرْنا بالموتِ يقتربُ منَّا حقًّا . ولو بَقِينا هناكَ وقتًا أطولَ ، لقَتَلنا التلوُّثُ ، لذلِكَ أسرعَتْ بلطيةُ تقولُ لى : « اختارى المكانَ الَّذى نخرُجُ منه : هل تحبِّينَ أن تُجازِفى بالخروجِ من الفتحةِ الَّتى يدخلُ منها ترابُ الأسمنتِ ، أم من فتحَةِ العُلَبِ والقاذوراتِ ؟ ! » .

واخترتُ الفتحةَ التى يظهرُ منها ضوءٌ أكثرُ ، فهذا دليلٌ على أن التلوث

بها أقلُّ . واندفَعْنا أنا وبلطيةُ نخرجُ بعيدًا عن ترابِ الأسمنتِ ، وما بهِ من موادَّ كيماويةٍ .

قالَ عادل : « إنها ليسَتْ مصانعُ الأسمنتِ فقط ، بل مئاتُ وآلافُ المصانعِ ، تَصُبُّ مُخَلَّفاتِها السامَّةَ على طولِ مجرى النهرِ » .

قالَتْ وفاء : إنَّ هذهِ المُخَلَّفاتِ هى سببُ وفاةِ زميلَتِنا السمكةِ ، وهى واحدَةٌ من عشراتِ الآلافِ من أسماكِ النيلِ . وقد قالت لى بلطية : « إن أنواعَنا كانت كثيرةً ، وأعدادَنا لا حَصْرَ لها ، لكنَّ الهلاكَ أصابَ معظَمَنا ، ولم يبقَ منَّا إلا أعدادٌ قليلةٌ » .

وأكملَتْ وفاء قصَّتَها . قالَتْ :

وفجأةً حَجَبَ شيءٌ ضوءَ الشمسِ عنَّا ، فرفعتُ رأسى مرةً أخرى لأتَبَيَّنَ ما الذى يحدُث ، فشاهدتُ أُنْبوبًا كبيرًا فوق السطحِ ، يصبُّ ماءً لونُهُ أسودُ ، تقذفُهُ علينا باخرةٌ كانت تمرُّ فوقَنا . لقد كانتْ تَصُبُّ علينا مخلَّفاتِ دوراتِ المياهِ الموجودة بها !!

واندفَعْنا نبتعدُ فى اشمئزازٍ ، وبلطيةُ تقولُ : « إنها واحدةٌ من مئاتِ الفنادقِ العائمةِ ، التى أصبحَتْ تملأُ الآنَ سطحَ النيلِ ، منَ القاهرةِ حتى أسوانَ » .

« هنا أحسستُ بحزنٍ شديدٍ ، وبدأتُ أشعرُ أننى أختنقُ ، بعدَ أن تغيَّرَ لونُ ماءِ النيلِ ومذاقُه ورائحتُهُ . واضطررنا أن نقتربَ من الشاطئ ،لنلتقطَ أنفاسَنا التى كادَتْ أن تنقطعَ !! »

قلتُ لبلطيةَ : « هنا نستطيعُ أن نستريحَ بعيدًا عن التلوثِ » .

لكنَّ بلطيةَ لم تُجِبْ ، بل أشارَتْ إلى الشاطئِ .

كنا على شاطئ إحدى القُرى ، وقد امتلأ بسيِّداتٍ يَجْلِسْنَ عليه ، ويَغْسِلْنَ

الملابسَ والأوانِيَ فى الماءِ .

صاحَتْ أملُ : « ليسَ هذا فقطْ .. ذاتَ يومٍ شاهدتُ فلاَّحًا ينظِّفُ حصانَهُ فى مياهِ النيلِ » .

قال علاء : « وحِمارَهُ أيضًا !! » .

ضحكَ الأطفالُ الخمسةُ ، ولكنَّ وفاء لم تشارِكْهُمُ الضَّحِكَ .

قالَتْ دعاءُ : « بل الأسوأُ من ذلكَ ، أنِّى رأيتُ كثيرًا من الأطفالِ يستحمُّونَ ويلعبونَ فى ماءِ النيلِ ! »

قال علاء : « لكن هذا ليسَ بجديدٍ على النيلِ ! »

قالَ عادل : « إنَّ عددَ النَّاسِ فى مصرَ تزايدَ عشراتِ المرَّاتِ ، فأصبحوا أحدَ المصادرِ الأساسيةِ للتلوثِ » .

وأكملَتْ وفاءُ : حاوَلْنا أن نبتعدَ عن ذلكَ المكانِ ، فوجَدْنا أنفُسَنا وسطَ منطقةٍ شديدةِ السَّوادِ .

قالَتْ بلطيةُ : « انظُرى إلى هذه المنطقةِ ..لقد كانَتْ ملآنةً بالنباتاتِ الخضراءِ الجميلةِ ، فتأملى ماذا أصبحَتِ الآنَ » .

وتأملْتُ تلكَ الأشياءَ السوداءَ ، فاكتشفتُ أنها نباتاتٌ قد ذبُلَتْ واسودَّتْ .

قالَ عادل : « من المؤكَّدِ أنَّها اسودَّتْ بسببِ ما يُلْقَى فى النِّيلِ من ماءٍ ملوَّثٍ بالمبيداتِ الحشريةِ » .

قالَتْ أملُ : « إنَّ التلوُّثَ لا يقتلُ الأسماكَ فقَطْ ، بل يقتلُ النباتاتِ أيضًا ... إنهُ يقتلُ كلَّ حياةٍ فى الماءِ ، الذى تعتمدُ عليهِ كلُّ الكائناتِ الحيةِ » .

قالَتْ وفاءُ : وبعدَ أنِ ابتعَدْنا عن تلكَ النَّباتاتِ السوداءِ ، رأينا شيئًا كبيرًا يقتربُ نحوَنا على سطحِ الماءِ . ظننته فى أولِ الأمرِ قاربًا أو مركبًا ، لكنَّهُ كانَ غريبَ الشكلِ .

وكم كانَ فزعى عندما اقتربَ منَّا ، واتَّضحَ أنهُ جثَّةُ حيوانٍ ميتٍ ، ألقاهُ الناسُ فى النيلِ ، كأنهُ مقبرةٌ ، وليسَ مصدرًا للحياةِ !!

ولم أعُدْ أحتملُ الاستمرارَ فى هذهِ الرحلةِ العجيبةِ ، فقرَّرْنا العودةَ بسرعةٍ إلى الفقاعةِ المعزولةِ فى « برجِ العرائسِ » وأنا أهمسُ لنفسى : لهم كلُّ الحقِّ فى استقبالى بتلكَ الطريقةِ غيرِ الوديَّةِ !! .

وبعدَ أن تركَتنى السمكةُ بلطيةُ ، اخترْتُ مكانًا فوق جذعِ شجرةٍ ضخمٍ ، كان قدِ استقرَّ على قاعِ النيلِ ، جعلَتْهُ العرائسُ فى فقاعتِها مقاعدَ للراحةِ والتأملِ . وبغيرِ أن أشعُرَ ، وجدتُ الدموعَ تنسابُ من عينى ، والحزنَ يملأُ قلبِى .

وشاهدَتْنى عروسٌ ضخمةُ الجسمِ ، يبدو على ملامِحِها الاستهتارُ وعدم المبالاةِ ، نظرَتْ إلىَّ فى استخفافٍ ، ثم قالَتْ ساخرةً : « لماذا تبكينَ ؟ ! »

قلتُ لها : « لأنَّنى رأيتُ فى رحلتى ما تقشعرُّ لهُ الأبدانُ ، ويرفضُه أىُّ عاقلٍ حكيمٍ . رأيتُ التلوُّثَ يغزُو نهرَنا الحبيبَ ، ويكادُ يقضى عليهِ » .

أطلقَتْ تلكَ العروسُ ضحكةً كلُّها سخريةٌ ، وصاحَتْ بى فى استنكارٍ : « ولماذا يصيبُكِ كلُّ هذا الهمِّ ؟ ! إننا ، وإن كنا نتميَّزُ عن بنى البشرِ بقدرتِنا على أن نعيشَ داخلَ الماءِ ، فإننا نستطيعُ أيضًا أن نتنفَّسَ الهواءَ ، وأن نعيشَ خارجَ هذا الماءِ !! »



قلتُ لها : « لكنَّ الأسماكَ والنباتاتِ ، وكلَّ ما يعيشُ فى الماءِ ، يتعرَّضُ للهلاكِ بسببِ هذا التلوُّثِ !! »

قالت فى استهتارٍ : « مالنا نحنُ بالأسماكِ والنباتاتِ ، مادُمنا نستطيعُ أنْ نعيشَ ؟!!! »

قلتُ لها محتجَّةً ، وقدْ أثارنى جهلُها واستهتارُها : « إن التلوُّث ، عندما يصيبُ الماءَ والأسماكَ والنباتاتِ ، لابُدَّ أن يصيبَ أيضًا الحيواناتِ ومحاصيلَ الحقولِ . ومنَ المؤكَّدِ أن يصيبَ الإنسانَ بعدَ ذلكَ ، فالإنسانُ يعتمدُ فى حياتِهِ اعتمادًا رئيسيًّا على كلِّ هذِهِ الكائناتِ » .

ثم أضفتُ فى تأنيبٍ : « أنتِ تفكرينَ فى اليومِ ، ولا تفكرينَ فى الغدِ ... وتهتمِّينَ بنفسِكِ ، ولا تهتمِّينَ بالآخرينَ !! » .

قالَتْ : « بل أنْتِ تشغلينَ نفسَكِ بهمومٍ لايَدَ لكِ فيها ، ولا تقدرينَ على حلِّها » .

قلتُ لها : « إذا تخلَّى كُلُّ إنسانٍ عن واجبِهِ ، سيصبحُ العالَمُ خرَابًا !! » .

* * *

وفجأةً سمعتُ صوتًا عميقًا ، كأنهُ خريرُ الماءِ يقولُ لى :

« اسمَعى يا وفاء .. لقد سمعتُ حوارَكِ ، وأُعْجِبْتُ بإخلاصِكِ وأمانتِكِ ، وفهمِكِ السليمِ للأمورِ ... كما أعتقدُ أنَّكِ رأيتِ الآنَ ما يكفى من أخطارِ التلوثِ ، التى تهدِّدُ صحَّتى وحياتى ، وصحةَ وحياةَ كلِّ إنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ » .

أخذتُ أتلفَّتُ حولى ، لأعرفَ مصدرَ هذا الصوتِ ، فعادَ يقولُ :

« لا تحتارِى يا وفاء .. أنا ملكُ النيلِ العظيمُ ... »

قلتُ لهُ والدموعُ تملأ عَيْنَىّ : « لم أكن أتصوَّرُ أن أرى كُلَّ هذا !! »

قالَ لى : « لذلكَ اخترتُكِ يا وفاء لمهمَّةٍ صعبةٍ وهامَّةٍ جدًّا . منذُ الآنَ ، لن تظلّى مِنْ عرائِسِ النيل . ستخرجينَ إلى العالمِ الخارجىِّ ، لتبلغى النّاسَ جميعًا أن يكفُّوا عن تلويثِ مِياهى . وإذا نجحتِ فى توصيلِ رسالتى ، سيتحوَّلُ ذيلُكِ إلى ساقَيْنِ ، وتصبحينَ واحدَةً من بَنى البشرِ ، تعيشينَ بينَهم كما تشائينَ » .

وصمتَ ملكُ النيلِ قليلاً ، ثمَّ أضافَ فى تأكيدٍ : « ويجبُ أن يعرفوا أيضًا أننى غاضبٌ جدًّا .. وقد قرَّرْتُ أن أترُكَهم ، وأتحوَّلَ بالمجرى إلى أماكنَ أخرى ،إذا استمرُّوا على ما هُمْ عليهِ » .

صاحَ الأصدقاءُ الخمسةُ فى صوتٍ واحدٍ : « النيلُ يتركُنا ؟!! إنها كارثةٌ .. هذا معناهُ الموتُ لنا جميعًا !! لا تَبكى يا وفاء ، سوفَ نساعدُكِ جميعًا فى مهمَّتِكِ » .

* * *

وفجأةً صاحَتْ أمل ، وهى تشير إلى وفاء : « انظُروا ... !! »

ونظرَ الأصدقاءُ ، وهم لا يصدِّقونَ عيونَهم ....

لقد اختفى ذيلُ السمكةِ ، وأصبحَ لوفاء ساقانِ مثلُ بقيةِ الناسِ !!

لقد نجحَتْ وفاء فى إبلاغِ رسالَتِها إلى الأصدقاءِ الخمسةِ ، فحقَّق لها مِلكُ النيلِ وعدَهُ !!

* * *

واندفعَ الأولادُ نحو جدِّ أمل ، كلٌّ واحدٍ منهم يحكى له شيئًا مّما حدَّثَتْهم به عروسُ النيلِ .



قالَتْ دعاء : « لقد رأَيْنا عروسَ النيلِ ، التي كانت في الاحتفالِ يا جَدِّى ! »
وهتفَتْ أملُ : « واسمُها وفاء .. »
وأضافَ عادل : « وحكَتْ لنا عن أشياءَ عجيبةٍ ، حدَثَتْ لَها داخلَ الماءِ » .
نظرَ إليهِمُ الجدُّ فى دَهْشَةٍ ، ثُمَّ صَمتَ يتأَمَّلُهم لحظةً ، قالَ بعدَها ضاحكًا : « ماذا تقولونَ ؟! عروسُ نيلٍ تتكلَّمُ ؟! واسْمُها وفاء ؟! » .
قالَ علاء : « لابدَّ أن نساعدَها يا جدِّى .. إنها تحتاجُ إلينا جميعًا » .
وعادَ عادل يقولُ فى تأكيدٍ : « لقد أرسلَها النيلُ برسالةٍ هامَّةٍ جدًّا إلى عالمِنا » .
قالَ الجدُّ وهو يضحكُ مرَّةً أخرى : « والنيلُ أيضًا يتكلَّمُ ؟! .. ربَّما كنتم تحلُمونَ ! » .
صاحَتْ أمل : « وهل يمكنُ أن نحلُمَ جميعًا نفس الحلمِ ؟!! »
وفى حماسٍ قالَ نبيل : « حتَّى لو كانَ حلمًا ، فيجبُ أن نعملَ على تحقيقِ الرسالة التى أبلغَتْها إلينا وفاء !! » .
وارتفعَ صوتُ عادِل يقولُ فى تصميمٍ : « سنذهَبُ إلى كلِّ الناسِ ، ونسألُهُمْ :
« ماذا يجبُ أن نفعَلَ لكى نحافظَ على صحَّةِ نهرِنا العظيمِ ، بعدَ أن تسبَّبْنا فى إصابتِهِ بالمرضِ ؟! »
وتساءَلَ معه كلُّ الأصدقاءِ فى صوتٍ واحدٍ :
« نعمْ ... ماذا يجبُ أن نفعَلَ ؟! »

؟؟!

# أنشِطَةٌ حَوْلَ القِصَّـة

* نقترحُ عليكَ أنْ تشتركَ فى أحدِ أو كلٌ الأنشطَةِ التاليَةِ :

١ – أنْ تختارَ اسمًا جديدًا لهذه القصةِ .

٢ – أن تختارَ أحدَ مواقفِ القصةِ ، وتعيدَ كتابَتَهُ فى شكلِ حوارٍ تمثيليٌ ، يُمْكِنُ أن تمثِّلَهُ أنتَ وأصدقاؤكَ داخلَ الفصلِ الدراسيٌ أو فى المنزلِ .

٣ – أن تكتبَ خاتمةً أخرى من ابتكارِكَ لهذهِ القصةِ .

٤ – أنْ تجيبَ عن السؤالِ الذى طرحَهُ الأصدقاءُ الخمسةُ فى نهايَةِ القصةِ ، وهو : « ماذا يجبُ أن نفعلَ ، لكى نحافظَ على صحَّةِ نهرِ النيلِ العظيمِ ، بعدَ أن تسبَّبْنَا فى إصابَتِهِ بالمَرَضِ ؟ »

٥ – أن تعيدَ كتابَةَ القصةِ كلِّها من جديدٍ ، أو تعيدَ كتابَةَ أحدِ مواقفِها ، من وجهةِ نظرٍ مختلفةٍ ، وبرؤيةٍ جديدةٍ ، فيها ابتكارٌ وإبداعٌ .

٦ – أن ترسُمَ أحدَ مواقفِ القصةِ ، ويمكنُكَ أن ترسمَ أكثرَ من موقفٍ .